آنذاك بين العالم العربي ومصادر هذه النظريات وبلدانها لم تكن تسمح للغويين العرب آنذاك بالاستفادة من آخر مستجدّات هذا العلم.

نحن لا نملك بحثا مفصّلا حول كيفية تقبّل العالم العربي لهذا العلم الوافد لكن يمكن أن نقول إن الجامعة المصريّة الأهلية سنة 1908 ثم الجامعة المصريّة بعد أن أصبحت جامعة حكوميّة كانت أهمّ الفضاءات التي اكتشف فيها المثقفون العرب بعض جوانب علم اللسانيات ونعني اللسانيات التاريخية [1].

ولنا في كتاب طه حسين مذكرات [2] شهادة على الإعجاب والانبهار بهذا الجانب من اللسانيات. وقد توطّدت الدراسة التاريخية للّغة في الجامعة المصرية بفضل مشاركة بعض المستشرقين في التدريس بها ثم بتحوّل بعض الطلبة إلى الدراسة في ألمانيا أو فرنسا لدراسة أصول هذا العلم [3]. والذي يعنينا في هذا المقام أن الأصداء التي بلغت العالم العربي من هذا العلم تتعلّق أساسا بالدراسة التاريخية المقارنة التي أفادت دراسة العربية منها بحوثا قيّمة. ولقد ظهر أوّل كتاب عربي يقدّم بشكل مستقص هذا النوع من الدراسة بقلم «علي وافي» سنة 1945 مقدّما خاصة للدراسات التاريخية ومبنيّا على الفرضيات التي تعتبر سابقة لفترة نضج الدراسة اللسانية ورشدها.

وعلى أساس ما قلنا كان من الطبيعي أن لا يعتمد صاحب «إحياء النحو» على نظرية عامّة شاملة للغة لأنّها لم تكن ممّا يمكن أن يرجع إليه ولا أن يدرك أهمية ما ينشر آنذاك. ونحن لا ندرك ذلك إلا بفضل بعدنا التاريخي والمعاصرة حجاب. ولذلك كان عمله تجريبيّا بمقتضى هذا السياق التاريخي الذي وجد فيه.

---

1 انظر ألفه يوسف المساجلة بين فقه اللغة واللسانيات عند بعض اللغويين العرب المعاصرين.

2 انظر مذكرات طه حسين ص 57.

3 انظر «محمود فهمي حجازي» اتجاهات الدراسة اللّغوية المعاصرة في مصر ص 36.